(٣٤)

"الوصية"

طرقت كل الأبواب حتى آخر باب، وقرعت طبول كل الآذان بلا استثناء، وعندما اقترب موعد رحيلها تشبثت بثوب آخر إنسان طرقت بابه، وقرعت طبلة أذنه قائلة له: "ها قد دنت ساعة الرحيل، وسأترك الحياة مثلما يفعل كل مخلوق، وإنى أشهد خالقى أننى لم أقصر، وقمت بعملى الذى خُلقت من أجله، فهل ستكون لى حياة بينكم بعد موتى؟ وهل سَتبعث ذكراى فى نفوسكم الأمل الذى كنت أبثه فيها وأنا بينكم؟" ... وما أن أتمت طلبها هذا الذى كان على شكل سؤال، حتى لفظت آخر أنفاسها تاركة إياه حائرًا بين تكفين جسدها ودفنه مثلما الحال مع كل الأموات، أم عليه أن يحفظ جسدها فى تابوت حتى تظل ماثلة أمام أنظار زائريها؟

وطالت حيرته هذه حتى تذكر آخر ما قالته له وهو: رجاؤها أن تكون ذكراها هى الباعث للأمل فى النفوس، مثلما كانت هى فى حياتها بينهم. عندئذٍ أيقن أن حفظ جسدها لن يحقق لها رجاءها، وأنَّ عليه الآن ما هو أعظم من الماديات التى يتعلق الإنسان برؤيتها ولمسها حتى يعتاد على ذلك الأمر فلا يحدث لديه أدنى أثر مع مرور الوقت، بل يدفعه التكرار وكثرته إلى عدم التفكير فيما يفعل ولماذا يقوم به.

إنها أرادت الحفاظ على ذكراها فى النفوس دون أية ضغوط مادية أو دوافع غيرعقلية.

لكن كيف له أن ينفذ وصيتها بمفرده؟

يبدو أن ما عليه الآن هو أن يبادرويبدأ بنفسه. وبالفعل بدأ من جديد فى طرق الأبواب واحدًا تلو الآخر، وأخذ يقرع طبول الآذان من بعيد، ولم يتوقف عن تلك المهمة التى فرض على نفسه القيام بها، وهو مطمئن أنه بذلك يكون قد قام بما يجب عليه القيام به تنفيذًا لرجائها الذى تركته أمانة فى عنقه، ولوصيتها التى كانت متأكدة من وفائه بها. فحمل كلمة الأمل التى حملتها، وردَّد على مسامع الناس كلمة الحق والعدل التى أوصته بها.